عنوان بين السطور

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٠٢٣ /٢/٢٠١٤)

٨١٨,٩
المطارنة، إياس شاهر
عنوان بين السطور- إياس شاهر المطارنة_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
(٧٢) ص
ر.أ: (١٠٢٣/٢ / ٢٠١٤).
الواصفات: /المنوعات الأدبية//العصر الحديث/

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ISBN 978-9957-77-304-5 (**ردمك**)

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

خواطر

عنوان بين السطور

إياس شاهر المطارنة



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبي وأمي وإخواني وأخواتي اللذين علموني مهنة الروحِ والقلوب ....

إلى روح زوجتي المُتوفاة أم أصيل رحمها الله التي منحتني أوقات وردية ......

إلى ولدي أصيل الذي استطاع أن يُعيد إلى حياتي بهجتها .....

إلى كل من أحببت فوق الأرضِ وتحتها الذين نقشوا القمرَ حباً .....

إلى كل أصدقائي الذين كانوا يخبزون لي العزيمة عندما كنتُ أهجرُ الأمل ....

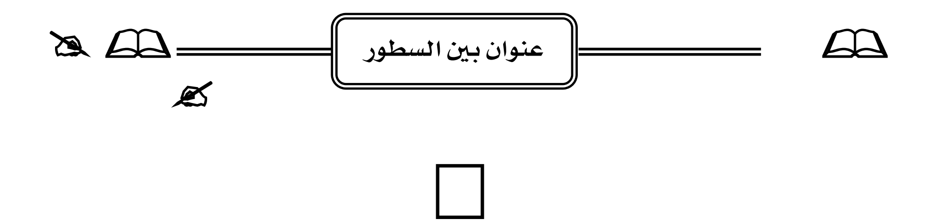
إلى من قرأني بين هذه السطور ....

المؤلف

جمع كلماته في كتابٍ أسماه باسمها، وكتب على الغلاف
((يُمنع بيعه لغيرها))

إليكم أقدم المقدمة كما وردت في كتابها :





عنوان بين السطور



ليست المقدمة

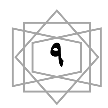
كان يجلس في غمرة الناسِ وحيداً قبل حضورها، اهتزت أركان قلبه عندما أشرقت من وراء الجدران وعانقت عيناه عينيها، لم يكلفها الأمر كثيراً لتوقعه في حبها، فهي العشق المعتق الذي طالما كان يتحدث عنه قبلها، هي المقطوعة الموسيقية التي عزفها في قلمه بين أوراقه، وهي القريبة البعيدة التي أذهلتها !

في ذلك اليوم وجدت سفينته المرفأ والميناء، في ذلك اليوم تحركت ساعته وأشرقت شمسه وتبدد الضباب بعد شهورٍ لم تكن إلا جميلةٌ بالرياء .

عرف اليوم لمن تحيك القز حريرها، ولمن تفوح الأزهار بعطورها .

أحبها دون مقدمات، لأنها كانت التحفة الفنية التي يحيكها كل ليلة في آلة الذكريات، هي الحسناء التي أحبها قبل أن يراها بسنوات فكيف يكون لحبها مقدمات !

لا يزال شهيد تلك الجلسة القصيرة الممتلئة بها



لم يزل ذلك العاشق القديم الذي أخلص لعشقها

عاد إلى غرفته ثملاً كما لو أنه قبلها، عَطِراً كما لو أنها عانقها، مضطرباً كما لو أنه أمامها، جميلاً كما لو أنه أنها !

احتضن أوراقه ورفع القبعة احتراماً لها، ثم أمسك ورقة بيضاء وتردد في الكتابة لأنها هي كان يخالها، وبعد الشجاعة كتب :

((أحبك)) تلك الكلمة التي اعتاد أن يكتب لها..........



الصفحة الثانية

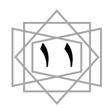
في الصفحة الثانية من ذلك الكتاب كان يتحدث عن ليلته المقدسة الأولى في حبه الذي تحول من نسج الخيال إلى واقع الجمال .

هذا ما أرسلته مشاعره إليه في تلك الليلة بعدما كادت أن تشيب تلك المشاعر في أرض الانتظار وبلاد الآمال :

هذه الليلة ليلتي أنا، ولن أختار رفيقاً لي بها سواها ، أفِل أيها القمر فلا يليق بك أن تحضر هذه الليلة، فكل شيء غدا صدىً بعد شفاهٍ رقيقة تحدثت بلغتي ولكن شعرتُ حينها أنني في الأندلس أحتسي نبيذاً فرنسياً بقدحٍ فرعوني أمام جدول ماءٍ ينهمر بكل هدوء يحمل معه الأوركيد والياسمين وبحور الشعر وقوافيها .

حافظ على نفسك أيها القمر، لربما سنلتقي ذات ليلة في عينيها

وربما سيكون لنا لقاء في مؤتمر، يتحدث عن الفرق بينك وبينها



أحاول أن أغزو ذاكرتي لأستذكر شيئا في تلك الجلسة غيرها، شمسُ أم قمر، بشرٌ أم حجر، غروبٌ أم سَحَر، فتغزوني هي بكامل تفاصيلها ، فيشتد إيماني بالقضاء والقدر، وبخالق الجمال في أبهى الصور .

سلبتً قلماً من كاتب أسطورةٍ تتحدث عن جسدٍ امرأةٍ تجلسُ على ساحلِ الجمال تُداعب أقدامها مياه الشاطيء فتولد موجات وردية

تبدأ رحلتها السعيدة نحو الغرب حيثما تُقبلها الشمس، وكتبت :

لستُ أذكرُ

إن كان في السماء شمسٌ

أو كانت مجرد دخان

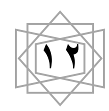
و لستُ أدركُ

كيف يسطعُ البدرُ

ضياءً وجمالاً

من شجرة السنديان

و كيف أدمنت الشهدَ



بلا نحلٍ
يقطرُ من زهرةٍ
لها لسان
و أشد ما أذهلني
عذراء يضاجعها
الجمالُ
فتزداد عذريةً
و جمالاً وافتتان
و أسودٌ حالكٌ
ينساب من قمتها
يقتل الأحزان
و المعجزة التي
لست أؤمن بها
أنها مجرد إنسان



اليوم الأول

في اليوم التالي استيقظ باكراً كي يستذكر تلك اللحظات من جديد، فهو لا يحلم !

يمر على تفاصيل صورتها كتائهٍ أنهكه العطش، يستمتعُ بكل قطرة ماء بعدما عثر على عين لا تنضب ولا تستسلم .

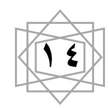
صوتٌ غريب داخله يُتمتم قائلاً له : تكلم ولا تصمت كالشموع، تقدم ولا تعتنق الرجوع ، ترجل عن حصان الحزنِ

فلم تعد فارس الدموع .

نهض من فراشهِ كفراشةٍ تحتفل بقدوم الربيع، هو بها سعيد، كونها أيقظت كونه من جديد .

جلس ليكمل كتابة كتابهِ، فالتقطت عدسة قلمه هذه الصور من دواخل قلبه :

في الأمسِ فقط عرفتُ أنه على الإنسان أن يمتلك أفقاً واسعاً من الخيال، فبعض الخيال يغدو واقعاً ملموساً يغمرنا



بعد الحماقةِ بالسعادة بقدر ذلك الأفق، فحبيبتي كانت مجرد تخيلات وردية ولكنها بالأمسِ كانت تجلس أمامي تنظر إلي وتبتسم وأنظر إليها وأنقسم، نعم كنت أنقسمُ إلى شطرين أولهما : روحٌ تعانقها لتشتم رائحتها، وثانيهما : طفلٌ تعنونه البراءة ينتظر أي حركة ليبتسم

ويبكي إن وجد نفسه وحيداً من جديد .

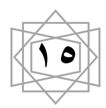
كم أنتِ جميلة

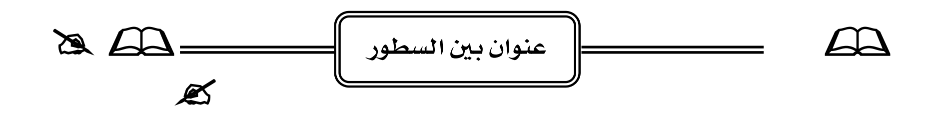
وكأن جمال الكونِ قد تآمر عليكِ مع العِطر فتملكوا كل جزءٍ من جسدك وروحك، وأنا المنتشي لانتصار تلك المؤامرة.

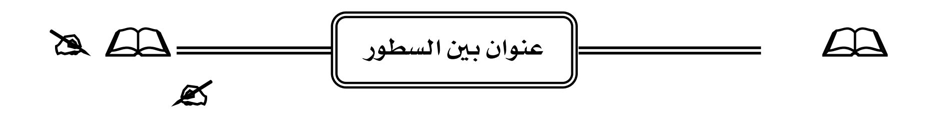
البيانو، ليالي الصيف، الدفء، القهوة، احمرار الشمس خجلاً لحظة الغياب والخيوط الذهبية التي تنسج يوماً جديداً عندما تمارس تلك الشمس حق العودة من جديد، الهدوء، كلماتي، أنا، كل ما مضى هي أنتِ .

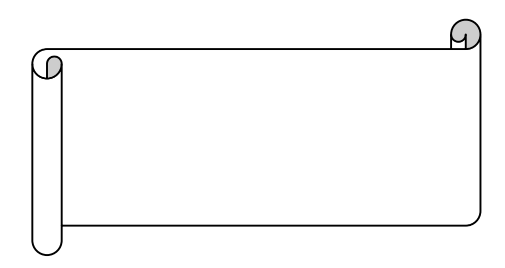
من قبلكِ كنت أمتلك قائمة بكل الأشياء الجميلة لكنها كانت (بلا عنوان)، أما الآن فأنا أمتلك ذلك العنوان الذي يختصر تلك القائمة

بكلمةٍ واحدةٍ هي اسمك يا حبيبتي .




عنوان بين السطور



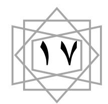


توالت الأيام ولا يزال كاتبنا لا يعرف غير ذلك اليوم، وكأن الساعة توقفت عند الساعة الواحدة أمام تلك الموحدة لتناقضات الجمال، بدأ طمع العشاق يتغلغل في حنايا قلبه السعيد، ويرنو لجلسة ثانية تجمعه بها ولو كانت وسط الملايين من الناس فالساعة لديه لا تزال الواحدة !

تجلس روحه وسط أوراقه، أما جسده فهو يحتضن تلك الأوراق بلهفة ، ذلك الجسد الميت دافئ ، فهو مشتاق !

اختلستُ بوح الروح للأوراق لأقدمه لكم، أرجوكم لا تحفظوا سره ! :

إنني أشتم رائحة شعرها كلما هبت نسائم الربيع فأغدو كفراشة تتنقل بين الرحيق وقد أصابها من فرط السعادة شيءٌ من الهذيان ، وأستمعُ لحديثها وأنا أتذوق الشهدَ الآن .





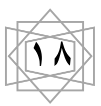
وعندما قرأتُ قصة التائه وسط نفقٍ مُظلمٍ بضعة فصول شتاء وانبثق النور فجأةً مع صوتِ ناي أتذكر مشيئتها عندما همت بالدخول وبنت أزهار اللوز جسراً بين عيني وعينيها .

سأكتب اسمها على اسمي علنا نلتقي عما قريب، وسأقبل يدي فربما أصافحها عندما نلتقي، سأملأ النهرَ أحاديثاً جديدة، وعطوراً فرنسيةٍ فريدة، وأزهارٍ جبليةٍ بالجمال ليست زهيدة، لأسكبه بين يديها مراتٍ ومراتٍ عديدة .

كم كنتَ على حقٍ أيها القمر عندما قلتَ لي بأنها أجمل، وكم كنتُ أنا محقاً عندما قلتُ أنها القريبة البعيدة .

لستُ أدري هل أكتب رثائي من قبلها أم أشواقي لها !







الخروج الأول

كاتبنا هذا المساء يرتعد أكثر، يشعر كأنه رومي يقف أمام قيصر، فقد انتابه شعورٌ مخيفٌ أنه لن يراها مجدداً .

لقد تعلم فتح الستائر ليحاكي الأشجار والأزهار، وتعلم شُرب القهوة صباحاً على شرفته يجوب فيها الأقطار، لقد سكن عينيها واستوطنت هي قلبه منذ غابر الأزمان، فكيف يعود للمنفى مجدداً !

خرج من بيته يحمل قلبه بين يديه، كان قلبه يقفز فرحاً، فالنية مكانها القلب، ونيته كانت الجلوس أمام منزلها، عل السماء تُمطر حظاً تلك الليلة فيراها .

إنه يجلس الآن أمام منزلها ذو الجدار الشاهق، ومضى يتحدث بما يُمليه عليه الخافق، وقد كان :

حبيبتي : لستُ أدري ما الذي قادني إلى هنا، فأنا منذ لك اليوم لم أعد لي، لكنني أعلم جيداً أنكِ أنتِ التي كنت أُيمم شفتي قبل أن أتحدث عنها ، ومن كنتُ أتطيب قبل أن أكتبَ حرفاً لها، وأنكِ أنا، فهل ذلك يكفي يا ترى بأنني هنا !

سأقص لكِ قصة الأشجار والكرسي، يُحكى أنه ذات يوم قطعوا شجرة كانت تقول عن نفسها للأشجار بأنها الأكثر حظاً بينهم،

سخرت الأشجار منها عندما تم قطعها، أما هي فلا زالت تُصر على أنها الأوفر حظاً، ودارت الأيام، وصنعوا من تلك الشجرة كرسياً وضعوه أمام تلك الأشجار لتُظل من يجلس عليه، لقد صدقت نبوءة تلك الشجرة، فهي ذلك الكرسي أمام منزلك الذي تجلسين عليه هاربة من وحشية الجدران وحرارة الشمس، وهو ذات الكرسي الذي أجلس عليه الآن هارباً من حرارة الشوق، وقد كتبت لكِ منه هذه القصيدة :

وراء جدارها

أجدني بالبقاء أجدر

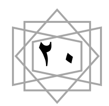
حزين على غيابها

و الدموع تقطر

كل ما يحلو لها

من لهفةٍ

من شمعةٍ



من ثورةٍ
لدي منه وأكثر
لا تراني إلا في حلمها
لا أراها إلا حلمي
الذي أُبصر
وفي المساء
أُلح في طلبها
فتولد في السماء نجمةٌ
تعرج إليها كلماتي زُمر
لتهدم جدارها
و تسرقها منها
ويدخل غرفتي القمر
هذا ما أستطيع يا حبيبتي
قدري أن أحبك
و لي الفخر

اللقاء الثاني

يشعر كاتبنا منذ ساعات صباح هذا اليوم أنه سيكون يوم مميز جميل، فالأرض أمامه ممتلئة بالنخيل، والشمس لطيفة من فوقه كأنها قنديل، أما هو يشعر أنه خاطرة خطتها أنامل جميلة كثيرة هي بالحُسنِ وبغيره قليل .

خرج ليحضر احتفالاً بيوم الوطن، وما أن وصل مكان الحفل حتى أطلت هي من الباب ووقفت أمامه مرحبةً بقدومه، تحدثت معه، دعته لتناول بعض الحلوى وشرب العصير وبقيت تتحدث معه، لا تستغربوا أنني لم أتحدث عنه، فما وجدته إلا ذلك العاشق الغارق .

بدأ احتفالهم، أما هو فقد ابتدأ احتفاله قبلهم لحظة أطلت، جلس على كرسيه بين الناس لكنه كان وحيدا في روضة من جنة الدنيا، استل عقله القلم، وبدأ يغمسه في مشاعر قلبه لتكن حبره في ما يكتب وقد كان :

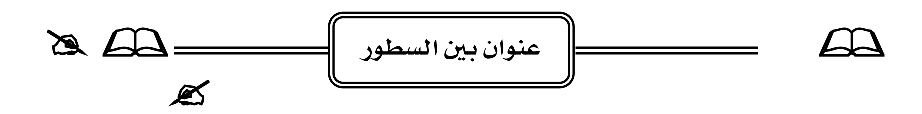
وأنتِ تجلسين أمامي أشعر أنني أسكن في قصيدة، لا تراودني في ذلك الشكوك، ولقارعتني لو عرفت ما أنا فيه الملوك، تلك القصيدة التي تتحدث عن ماضٍ مضى ويمضي وفي نهايتها رسمت يديكِ الإمضاء، بحرها أنتِ، حروفها أنتِ، أما بيوتها فقد استوطنتها أنا شطراً شطراً وكم كانت سعيدة .

كان يكفي أن أراكِ من بعيد لأرى شبحي مطلاً من الدروب البعيدة، فلماذا تركتِ عيني تُعانق شفتيكِ الصغيرة، ولماذا شققتهما لتبان أمامي لآلئ وليدة، لماذا !

مُتعبٌ أنا يا حبيبتي من الدروب الطويلة القصيرة، ومن أحلامِ قيصر في أرض كسرى التي أجهزت على كل شيء ولم يبق لقيصر إلا أن يستسلم ! ليحصل على أرضِ فارس لكنه يخشى أن يستسلم كسرى قبله ويغادر !

متعبٌ أنا من الصراخ في وجه القمر سائلاً إياه إن أرسلتِ له يوما رسالة حبٍ ويكون عنواني في ذلك البريد، أصرخ أتساءل ولكن، لا نعم أسمعها ولا لا سمعت .







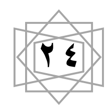
الرسالة

لا يزال اللقاء الثاني مشتعلاً بين صديقنا ومعشوقته ، ها هما الآن يجلسان على هامش الحفل، تتحدث هي ويصمت هو، عيناهُ تائهتان في نورٍ محياها، وعقله يرقص مع قلبه في حفلة الجسد المشتعل، ذلك الأبله كاد أن يحتضنها !

فجأة وبمنتهى الغرابة وفي وسط حديثها قاطعها ليطلب منها ورقة وقلم! فسألته لماذا؟ فأجاب مسرعاً بمنتهى الفوضوية : أريد رسم بحرٍ لأغرق فيه ! (لا تلوموه أحبتي فهو عاشقٌ ثملٌ بعشقه المعتق).

بعدما حصل على ما يريد، ذهبَ مبتعداً وجلس بالقرب من مكانها وكتب رسالةً لها وسلمها إياها وكان بها :

إليكِ ولكِ أكتب يا من لا يلتئم يومي إلا بها، لأجلك أُلملم منكِ ما تبقى مني لأعود لكِ من جديدٍ وفي جعبتي كلمات ، أخرج سعيد حزين لأرجع لكِ حزين سعيد .



كنتِ ذات زمنٍ بعيدةً قريبة وكنتُ أشعر حينها أنني ثقيل على هذه الأرض، وها أنتِ الآن القريبة وأشعر أن السماء لا تكفي لفرحتي ، وحدي يا وجدي راودت نفسي عن حبك فلم أستعصم، وكيف أستعصم وأنا لانتصارك مستسلم، كنتُ أحبك مع قلمي، أما الآن فأنا أحُب قلمي لأنكِ .

نسيم قرطبة يهب بيننا عندما أنعم بنعومة حضورك المقدس، وإلحادي بنساء الأرض هو عقيدة عشقك التي كنت أعتنقها عندما اقتربت منكِ وعلى كلماتك أتجسس، كيف لا أحبك وأنتِ لم تبخلي علي بربيع جسدك المسندس .

أنا يا حبيبتي حالةٌ وسطى بين الجنونِ والجنون، و حكاية متطرفةٌ عن قصة الهيام بين جدران السجون، أنا كهلٌ مؤمنٌ يعشق الخمر تسكبه شفتان دعوةُ هما للمجون، أنا يا حبيبتي لستُ إلا من أحبك صارخاً في سكون .

عقارب الساعة تلدغني لينتشر سمُ الشوق في جسدي، أرجوكِ ابقي، ابقي قليلاً وبعدها غادري سريعاً ولكن عِديني أن تعودي .



بعد الرسالة

إنه يجلس متكئاً على القمر، يستذكر كلمات رسالته ويعيد نظمها حرفاً حرفاً بمنتهى الضجر، الحياة لم تعد تعني له شيئاً وهي كل شيء، فقد تركها بين يدي تلك الجميلة في كلمات تلك الرسالة، فإما أن تعودانِ سويةً وإلا فلن تعود .

مضت عدة ساعات ، أشرقت الشمسُ مرة أخرى، ولم يصل أي ردٍ على رسالته ، ولا يعلم إن كان على قيد الحياةِ أم أنه في عِداد الأموات، عاد ليُشغل نفسه، وحتماً لن يَشغل نفسه بغيرها، وقرر أن يكتب :

غدُ الأمسِ يا حبيبتي ليس كالأمس، هو كسربِ حمام، يُقارع الغمام كما لو أصابه المس، وهو كفاكهة صيفيةٌ بللها الشتاءُ وهي تنتظر الشمس، يا ترى هل يكون السُندس نرجس!، أم أن هنالك ثمة عرشٌ لي في قلبك المقدس .

جُثمان صباحي يسألني : هل أنت وحدك ؟ أم أنها آمنت في عشقك المعتق واعتنقت قربك ؟

أم كانت خيبتنا في خيمتنا، ولم تكن صلاتنا باتجاه قبلتنا، أم أنها عانقت حرفك ؟ .



أجبتهُ :لا تسأل أملي عن حالِ ألمي ، فلست أدري هل أنا برٌ أم بحر، أم أنني قد غدوت جزيرة قديمة تحمل أخبار القدامى، أغرقها البحرُ ونال بعد ذلك الوسامَ .

حبيبتي : هل أنا وحدي؟

وهل أنكرت عاصمتي وجدي؟

و هل سكنت سهام الورد في قلبي ؟

أم أن قرطبة غدت رطبة في كلمة أحبك وقالت : أنا لست لغيرك .

حبيبتي : هل أنتِ وحدك ؟؟





الرد على الرسالة

أنجب هذا اليوم له فرحة عظمى، وانبثقت له سماء من الأرض، وهاجر من وطنه إلى موطنه، مزق الأيام الخوالي من البكاء وقدمها قرباناً لفرحته الكبرى .

هذا اليوم وصله ردها على تلك الرسالة في رسالة لكنها ليست كأي رسالة، فقد قابلها اليوم بذات المكان الذي صنع اللقاء الأول، تصنّما دقيقة أمام بعضهما دون أي حركة تُذكر سوى خفقات الجفون السعيدة وتحركات داخلية للشفاه، بعد ذلك ألقى عليها التحية ، لكن دون إجابة منها !

إنها تُدخل يدها في جيبها وتُخرج تلك الرسالة، تقترب منه، تُهدية الحياة بيده، وتُغادر دون أي كلمة .

لا يزال مُتصنماً ينظر ليده التي تحمل الحياة .

يعود إلى منزله ممسكاً بتلك الرسالة، وداخله خليطٌ بين الموتِ والخلودِ، يجلس على كرسيه الذي كان يُبحر به في رحلة عشقه ، يفتح الرسالة، ويقرأ :

(رسالتك التي أشرقت في سماءِ منفاي كانت كعِطرِ شانيل، أعادت تشكيل الهواء في جسدي وأشعلت تلك

القناديل، علمتني كيف يُفتش الفارس عن جوهرة حكايته ويلحفها بالمناديل، أخبرتني أنك لحني الذي فقدته في معركة الحمام مع الهديل .

مُذ فاح عبير كلماتك في قلبي، أورثتني الورود لغتها، وعدتُ أنا مضرجةً بالحبِ وبك، ولأنني لم أعد أعرف عن الحياة شيئاً سوى الموت في أرض حبك، فليعزف تاريخي لحن الرجوعِ .

خذني من البعيدِ إلى البعيدِ، وعنون فرحتي في يومِ عيدي، اسلبني بِكارة حزني ووحدتي وامنحني مخاض ذلك اليوم السعيدِ ، اسكن بيني وبين وريدي، ورافقني في رحلة الصعودِ نحو الصعودِ، وإن كنت شهيد حبي فليشهد الحب أنني شهيدة ذلك الشهيدِ) .



الموعد الأول

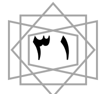
هذا اليوم كان للأرقامِ نكهة خاصة وحضور مبجل، فقد أمسك هاتفه وعزف سيمفونية الأرقام ليرن هاتفها صباحاً، وبعد غمرة حديثٍ ممتلئ بدوار البحر كانت نهايته ذلك الموعد بعد قليل في المقهى .

يُعد نفسه كما يكون دائما، معطفه الأسود، عِطره الملكي، حديث قلبه، نظرته الإغريقية، ضبابه الحالك، ويخرج مُسابقاً نفسه إلى المقهى، ينظر إلى الناس من حوله مُستنكراً خطواتهم التي لا تذهب إليها، تارةً يحسد نفسه عليها ويحسدها تارةً أخرى على نفسه .

يدخل المقهى، يراها جالسةً على الطاولة رقم (١٦) التي اعتاد الجلوس عليها، نعم، لقد سبقته ...... !

يُلقي التحية همساً إلى أذنها وصراخاً من قلبه يجلس في الجهة المقابلة لها ويبدأ حديثه معها، ذلك الحديث الذي لم أجد له إلى الآن أي عنوان، وقد كان :

(يا زنبقة الوادي يا زهرة الزعفران، تجلسين أنتِ أمامي وأجلس أنا على عرش بلقيس، أما الهذيان فهو يكسر



هشاشة الجاذبية العقلية للنسيان، يا لحضورك يا حبيبتي كيف يُخبر دمعاتي أنني سعيدٌ الآن وأن الأحزان قد فاتها الأوان .

لستُ أدري هل أحتاج إلى الكتابة أم إلى كتاب أم أنا مكتبة بلا سرداب، فالكلمات داخلي تتكاثر بالحب وتجتمع كقصائد وردية كتبها الشِعرُ والنثرُ للبحرِ عندما أنجبَ الشمسَ بلا أسباب .

كان الليل يُشبهني، والنهرُ أيضاً كان يُشبهني ولم أكن أُشبهني، أما الآن فما أشبهني بوردةٍ بين يدي كليو باترا تقدمها لمارك أنطونيو عندما كانت طيور روما تُغني .

كتبتُ اسمي وأنزلت قُبعة ألفهِ احتراماً وحباً لألفك لنكون سوية ألفاً قائمة قبعتها الحب والحب والكلمات .

حبيبتي : يا مرآة حياتي، كم كانت جميلة خيالاتي عندما أقسمت أنني يوماً ما سأجد ذاتي، وستُقبل عيناكِ نظراتي) .

بعدما أنهى غيضاً من فيض كلماته، كانت هي تختلس السمع من قلبه، وتمسك بيديه دون أن تمسكها !

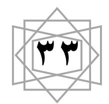
تنهدت، تفتحت شفتاها، أخرجت عطراً دافئاً كان وحده من ينتشي به، ثم قالت :

(يا سُنبلة الحب قبل موسم الحصاد، يا هدية السماء وربيع الفؤاد، يا نجمةً بزغت لتائهٍ لم يكن يعرف قبلها للحب سبل الرشاد، أخبرني كيف مات موتي بك وكأن العمر قد زاد، أخبرني يا حبيبي كيف نطق الوردُ باسمك وابتسم لي الجماد.

في عينيك أسافر بلا جواز سفر بين النجوم، وأنت أمامي تكون السماء سمائي وكل الأزهار أزهاري والكون من حولي يحوم، أريدك لي وحدي، وأريدني لك وحدك، كلحنٍ لا يعزف إلا موسيقى القدوم .

عندما أتحدث عنك تكون أنت الأرزة وأكون أنا لبنان ، وعندما لا تكون أمامي تكون أنت الوطن وأكون أنا المهاجر، والآن أنت حروف اسمي أما أنا فلست إلا أنت) .

مر الوقت مسرعاً في لقاء العاشقين المطرز بخيوط العشقِ الأبدية، والمُزها بألوانِ الزهر الوردية، وقبل المغادرة اتفقا على موعدِ اللقاء القادم وقد كان عندما تتحلى السماء بأشعة بدرها اللؤلؤية .





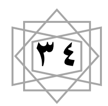
بين الموعدين

يمتطي هذا اليوم حصان السفر البعيد، زادهُ عشقه وشيئاً من لغتهِ السوسنية، يصعد تارةً نحو التلة المكللة بعينيها وشعرها، وينزلُ تارة أخرى نحو جيدها ونجمتيها .

ها هو الآن يجلس على شُرفته، يشرب قهوته كما تُحب هي أن تشربها، يغمره الظلام شيئاً فشيئاً، ويغمره الشوق والحنين لهفةً فلهفة، ينظر إلى قلمه ، يبتسم ويكتب :

يا أخت الليل وابنة البدر، شوقي لك يحرق الشمسَ ويكون الرماد ليلتي التي تأتيني دوماً وهي مضرجة بك، أغلقي نافذة الظلام وأزيلي الستائر عن نافذة الأنوار، وخذيني بعدها إلى سفرٍ بلا عودةٍ إلى عينيك، إلى عيني، إلى كل قريبٍ وبعيدٍ .

سأملأ الأشجار بالأشعار، وأنحت النثر بالصخر، سأبحر في أعالي أمواج الكلمات وأرسو بعدها في ميناء السماء، سأتحسس الزهور عل من بينها كان لكِ عبور، سأكتب حكاية العودة بعود البخور، علك تحيكينها ذات سعادة .



أنا الفارس المسجى بالجمال لأنني أحبك

و أنا الفارس المسجى بالجمال لأنك تحبينني

و ما أنا أنا إن لم أكن ذلك الفارس المسجى ....

لا أزال بانتظارك مستظلاً بشجرةِ الشوقِ المُحترقة، مقلباً ألبوم صورِ اللقاء الأخير، ولا أزال أرقب زوال الزوال .

□



الموعد الثاني الأول !

مرت الأيام وتطاولت في السعادة، تلك السعادة التي غمرت فارسنا المترجل عن حصان الحزن، اكتمل البدر، اليوم سيراها ويجالسها ويحتسيها مع قهوته .

يرتدي بذلته السوداء ويُعد نفسه كما اعتاد أن يكون، ويقول لنفسه : كن قوياً .... هو لا يعلم ما حاجته للقوة ولكنه يكرر تلك الجملة كثيراً، كما أنه يُحدث نفسه كثيراً عن الحب .

يخرج من بيته نحو الضباب الوردي، هو أيضاً كان كما الضباب، غامضٌ، هشٌ، سمائيٌ وفي منتهى الهدوء .

يجلس في المقهى على الطاولة رقم (١٦)، كرسيها لا يزال فارغ من جسدها، شاغرٌ في خيالها .

تأخرت ......

انتابه القلق .....

يُمسك هاتفه ليهاتفها ، دون إجابة !

كرر المحاولات عدة مرات وفي النهاية أجابت ......



لم تكن هي !

إنها صديقتها، تُخبره أن عشقه المعتق عاد ليختفي من جديد ....

ماتت .... !

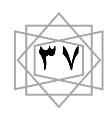
خرج مسرعاً نحو المشفى وكله أملٌ أن ألمه لم يكن .....

وصل المشفى، ليجد آلام الكون مجتمعة تنتظره ....

لقد وجد جسدها الساكن، ابتسامتها المرتسمة، وجهها القمري، عِطرها الوحيد، لكنه لم يجدها !

احتضنت الأرض ركبتيه واحتضن الأرض بعينيه، لكنه لم يبكي، وبلحظة غريبة تذكر جملة الصباح : (كن قوياً) وبعدها أجهش بالبكاء .

جاءت صديقتها تسأله عنه، وبعدما عرفته قالت له : لقد تركت لك هذه الورقة وطلبتني أن أخبرك بأن تُسامحها لأنها تعجلت الرحيل، و أن في هذه الورقة ما كانت تنوي قوله لك اليوم.



جلس قُبالتها وفتح الورقة وبدأ يقرأ ما تحويه من سعادةٍ ميتةٍ، وقد كان فيها :

(إليك أكتب يا من كنت تنثر أمامي الكلام كما الأحلام، يا من جعلت لي صوتاً بعدما كنتُ صدىً، يا من أعدتني من منفاي الذي في داخلي إلى موطني داخلك، إليك أكتب وأقول :

غيابك، الحب وأنا

كشيعةٍ

يُحيون ذكرى كربلاء

أشتهي تقويماً يجمعنا

بكل مماطلةٍ

بمنتهى السخاء

يضاجع فيه الشِعر ليلتنا

والعشق بثمالةٍ

يُراقص السماء

في ذاتِ المقهى ومقعدنا

وأيدٍ بحرارةٍ



تُنجب روعة الأجواء

لم أكن أعلم ان الحب جميلٌ إلى هذا الحد، كبيرٌ بهذا القدر، بحرٌ كله مدٌ بلا جزر، لم أكن أعلم أن الدنيا لا تتسع لحبك وأنني محتاجةٌ لعمرٍ آخر لأُتم بدايات حبك وحريتي بأجمل أسر.

حبيبي : أحبك جدا ولي الفخر) .

بعد غياب جسدها أيضاً، اعتزل فارسنا الناس أسبوعين ويومين كان يحيا فيها مع أقلامه وأوراقه ومعها، ثم غادر هو أيضاً بلهفة المشتاق، وتبعها وكأنه يُسابق الأحياء على القبر الذي بجانبها، وحصد الجائزة بذلك القبر !

بعدها استيقظتُ من نومي باكياً على ما جرى لصديقنا البائس، جلستُ أُفكر بما حصل كالمجنون، ألتفتُ للدنيا من حولي فأستيقن بعدها أن ذلك الموعد الثاني كان مجرد حلم أسود اجتاحني على غفلة من بين أكوام أحزاني التي افتقدتها بعض الشيء عندما اعتنقت رواية قصة صديقنا صاحب العشق المعتق .



الموعد الثاني

انتصف الشهر، الورود تبتسم، الهواء مُتطيب برائحة شعرها، وصديقنا أيقظَ الفجرَ قبل الفجر، جاء من الأمسِ على عجلٍ ليحتفل بوجوده، أعدَ نفسه باكراً، يُرافق عقارب ساعتهِ الرمادية في رحلتها نحو غايته .

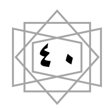
اقترب موعد لقائه بها، خرج من بيتهِ يُقارع قارعة الطريق ، نحو ذلك المقهى المُقدس بقدسية حبهما .

وصل المقهى فوجد وصال قلبه به تجلسُ على ذات الطاولة السعيدة، ألقى عليها تحية الأنوار وجلس ، خيم الصوت قليلاً عندما كانت العيون تتبادل القُبل .

بدأ يُحدثها عن عشقه المعتق عنها، وأنه يعشقها منذ زمنٍ غابر قبل أن يجدها في واقع حياته .

سألته كيف تكتب وكيف تُنجب القصيدة بهذا الجمال، فقال لها :

أرتشف شيئاً من كأس كلماتك التي اختمرت في ذاكرتي لأثمل من جديد ....



أو ربما يكفيني أن أشتمَ ذلك المنديل المرصع بعطرك ....

لأمسك قلمي وأكتب، إن كان غيابا ً أندب، إن كان لقاءً للورد أسكب، إن كان شوقاً أرقب، وإن كان غير ذلك أهرب....!

و هكذا يا حبيبتي تولد القصيدة ....

ابتسمت ودُموع الحبِ تغرورق في عيونها وقالت له :

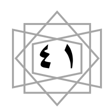
إن وراء حبي لك حبٌ يحتضن روحك كما تحتضن الوردة الفراشة

وإن وراء شوقي لك شوقٌ يحرق آلهة المجوس، لو شعروا بها لكفروا بما يعتنقون

أما أنت فلا أرى وراءك ولا أمامك غيرك

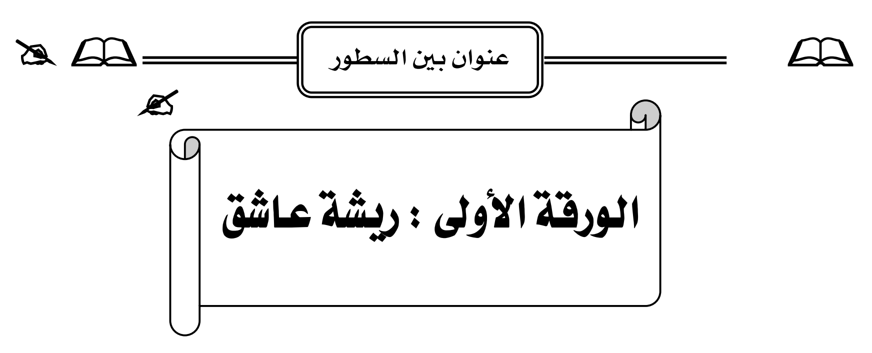
الحب من دونك ربيعٌ لم يكتمل، والكلمات من بعدك بُعدٌ لا ينتهي، فأنت مجموعتي القمرية التي أعيش فيها وأنعمُ بربيعها الذي يُحرك قلمي بأجمل الكلمات .

وفي نهاية الجلسة المُفعمة بالحب وبتلات الورد، وكأنها حكاية أندلسية كُتبت بعِطر الليمون وكان موج البحر بالسرد،



أخرج من حقيبته ثلاث ورقات وأعطاهن إياها وقال لها أنهن بعضٌ من بعضِ أحاديثه عن العشق المعتق قبل أن يجدها.

يُغادران من السعادة إلى الحنين وكلهما أملٌ للقاء القادم وألمٌ بانتهاء لقاءٍ حاضر .



الورقة الأولى : ريشة عاشق

في كل ليلةٍ تمضي بإمضائها كان يرسمها بحبرِ الياسمين على وجه القمر ويُقبلها في نهاية القصيدة، إنه قمريُ الحبِ شمسيُ الشوق، بحريُ الشعر وهوائي الهيام، إنه يحبها .

جمالها كان يذهب به بعيداً هنالك حيث قبر الملل، يجلس متفكراً بانسيابية نهر الحرير الأسود بين أكتافها، محتاراً بين جمالية ارتداد طرفها وقسوته في إخفاء عينها، وتقطُرُ شفاهه غزلاً عندما تُغازله شفاهها، وكلما ذهب بنظره لزيارة جزيرة من جزر جمالها كان يعود دائماً إلى ذلك السواد المُتخم بالروعة الذي يقطن أسفل جفنيها كما لو أنه عنوان قصيدة غزل .

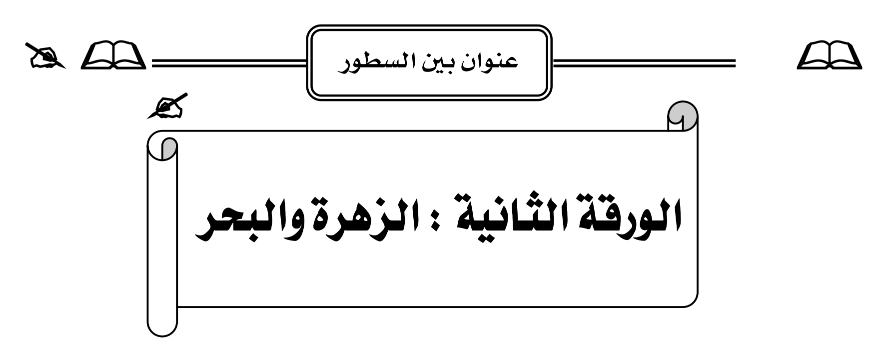
ترسو كلماته بين يديه عند مُنعطفات الليل، فتنقضُ الحروف على الورقةِ لتحتضنها بعد معركة النصر والكسر، تسيل دماء بعض الحروف المُصابة، وتنهمر دموع الحروف الثكلى، فتنزل حروف اسمها من الشمسِ ومن أزهار الأندلس



لتضمد الجراح وتُكفكف الدمع وتمضي إلى قلبه فيبتسم كما ابتسمت الورقة .

وعند الفجرِ كان يعود منها بعد رسمِ حدودٍ جديدة لحبها، يضمُ رسمته، يتعطر من شذاها ، ويغفو ليحلم بها .

□



الورقة الثانية : الزهرة والبحر

كان وحيداً بين السماء والأرضِ وبينه يجلس عشقها، يتطاير بين النجوم والتُخوم ، فقد جعل منه الهوى هواءً مُعطراً بمطرٍ لم تُسقطهُ السماء ولم تلقفه الأرض، بل أنجبتهُ لهفةٌ أنجبها حبها فسقطً من روحها والتقفته روحه .

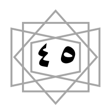
كان بحراً ناطقاً ناطفاً لحبها، وكانت هي تجلس على شاطئهِ تُدغدغها أمواجه فتغدو وكأنها تتقمص شكل زهرةٍ ساحليةٍ ترقصُمع سمفونية الأمواج ونسائم البحر .

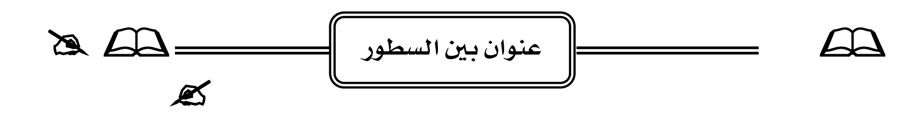
في الموجة الأولى قال لها : لكِ أن تكوني كوني المكنونِ بك، ولي من بعد ذلك أن أكون .

في الموجة الثانية قال لها : أجهضي شيئاً من جمالك وإلا ستكونين سيدة رمادي ومليكة بقايا بقاياي .

و في الثالثة قال : ما أصغر العالم أمام ابتسامتك، فثغرك قد طاش بحجاج الجمال والفُتون .

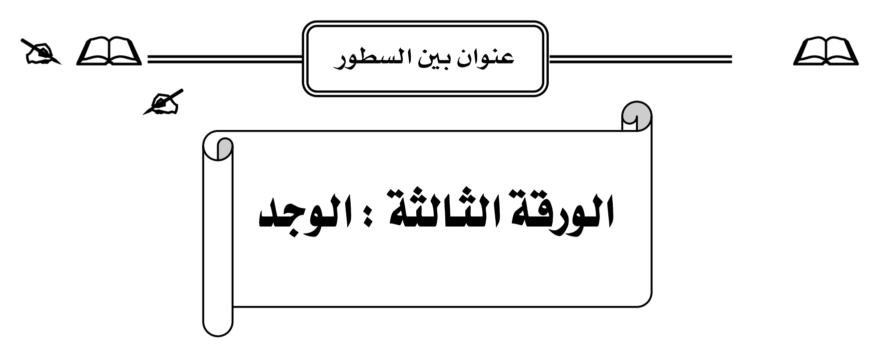
و في الموجة الرابعة سمعته يقول : قصيدةٌ أنتِ لم تبدأ بعد، فلا يزال الزوال حائراً في عنوانها بين حناياي .





قبل الموجة الخامسة أسلمت تلك الزهرة نفسها للبحر، وتبعثرت أوراقها بين أحضانه، فكل ورقة كانت تحملها موجة، فغدا البحرُ جميلاً وغدت الزهرة أجمل، ولا يزالانِ ينتظران قُبلة الشمس الحمراء .

□



الورقة الثالثة : الوجد

في حبها
يجدني الوجدُ أجودُ
هي كلماتُ شاعرٍ
ما كل وما مات
بل كان منها يولدُ
وقصةُ جسدها متخمةٌ
بالنارِ والأزهارِ
و الجمال المخلدُ
حتى أنا في قصتها
وجدتني أقتلُ و أستشهدُ
علمني حبها
كيف أؤمن بالموتِ
و كيف به أُلحدُ

و كيف تفترقُ أنفاسي
و على جيدها تتحدُ
كانت تفترش ألوانها
و كنتُ بغيرها أرمدُ
لا أُبصر إلا عينها
أبيضٌ يغمرُ أسودُ
و صقرانِ فوقهما يحلقان
و لهما السماء تتمهدُ
ما أجملَ حبها عندما
رسم بقلبي الموعدُ
أحبها والوجد يعلمُ
أنني في حبها الأجودُ

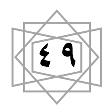


ليست الخاتمة

تداولت الأيام وكأن عقارب الساعة غدت من الأزهارِ، والحياةُ تكتسي لهما أجمل حُليها، إنه العشق الذي يكوي برودة المشاعر ويمحو انطواء القلوب .

ها هما الآن يستعدان للقضاء على فُرقة الأجساد، يُمارسان حقهما الشرعي في الذهابِ إلى الصباحِ معاً واستقبال القمر معاً، تجاوزا عقبة الغيرة، تعلما جيداً كيف يجهلانِ الشك، جعلا من الخِصام رعشةً جديدة وزهرة جميلة في عشقهما، غداً سيكون زفاف الشمسِ والقمر، فالنهار سيغدو نهارهما والليل سيكون لهما .

هكذا هو العشق المُعتق لا يعرف النهايات الحزينة ولا يعترف بها، فهو حيٌ مُنذ بزوغ فجر الفقد إلى أن تُشرق شمسُ العشق ليحتضنها القمرُ الكهل في حبها .





ها هو صديقنا صاحب العشق المعتق يُسطر حروفه الأخيرة في كتابه الأول ليُهديه لها في ليلة زفافه، وقد كانت :

المقدمة

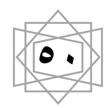
أنتِ البداية التي لا شيء قبلها ولا شيء بعدها، لن أضع خاتمةً لهذا الكتاب، فقصة عشقي لكِ تبدأ كل يوم بداية جديدة فريدة .

هذه هي حكاية العشق المعتق، تلك الحكاية التي لا عُقدة فيها، وعنوانها أنتِ التي أخفيتها بين السطور .

أستذكر تلك اللحظات الماضية التي كُنت أجلس فيها وحيداً ولكن بصحبتك عندما كنتِ لوحة رسمتها في مخيلتي

كعشقي الذي لا أزال أبحث عنه، عندما كنت أسير المسير نحو أسرك الذي لن أنشد الحرية فيه، أستذكر تلك

اللحظات بكل سعادة، فقد كانت كل ليلة من تلك الليالي تشحذ همة قلبي ليبحث عنك أكثر ويعشقك أكثر وأكثر .



في حبك أحتاج لأكثر من قلمي وأكبر من لغتي وأدوم من قلبي لتستوعبه ورقتي ويشعر به من حولي كما انبغى له

أن كان وكما ينبغي له أن يكون داخلي بمنتهى الثبات، تضيق بي اللغات والمجرات في لحظة ليست كاللحظات،

لحظة يمسكني بها قلمي ليكتب عن أشواق عن حب وعن تنهدات، لم تكن لسواكِ ولم تخرج من قبل في هذه الحياة.

هو الحب يا سيدتي يجعل كل الروائح من حولي كرائحة الياسمين، يضيء كل الظلمات من حولي ليكون أوحشها ليلة صيفية مقمرة هادئة وسط البساتين، ويمحو من الذاكرة أيام الشقاء فتغدو لحظاتٍ سريعة مهما تمادت بالسنين .

في غيابك تكون كل الأشياء لا شيء وكأنها لم تكن، في غيابك يحتل الليل النهار وتكتوي النار بالشرار وكأنني لم أكن، فتقيم كل التناقضات داخلي طقوس الزواج وآهاتي هي اللحن، وأبقى على هذا الحال حتى يحضر حضورك فتنجب التناقضات أجمل الكلمات وتعزف آهاتي لحن المسرات كتنهدات تخرج بكل حرارة لتطفيء النار الشرار ويختلط الليل بالنهار في لحظة شروق لقاءنا، عندئذٍ نكن .



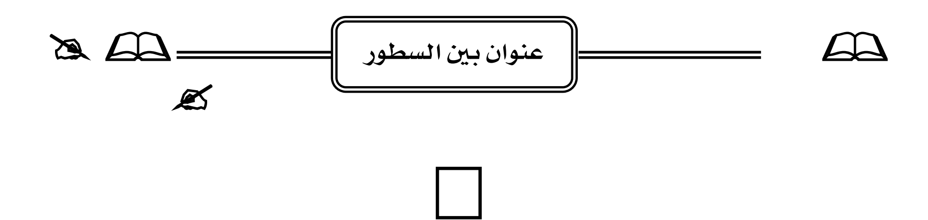
هذا هو حبك كلما هممت لأكتب عنه لم أكمل يوما ما هممت لأجله، أصارع الأفكار أخترع المفردات أسافر إلى كل الأقمار لأبحث عن جديدٍ أضيفه إلى ورقتي فتكون ورقتي هي خطيئتي وأنهيها كما هو جرت العادة بِ إلى آخره .

يا أنثى تملكت درر الأنوثة واستوطنت قممها باستعلاء، يا مملكة حريرية تلامس مشاعري بنسائم ملساء، يا قنديلا من عطرٍ ينير شراييني لتلك الدماء، التي تسير وتسير لتقبلك في فؤادٍ أدخلك دون استحياء .

قبليني اقتليني بعثريني اجمعيني لكن ضميني فعقلي تملكه جنوني، وحريتي خارج أسوارك هي أقسى سجوني، لنرقص سوية رقصة العشق المعتق وصوتك يعزف لنا أجمل ألحانِ .

أقبلي صديقتي إلى نقطة تقع ما بين الواقع والأحلام والأقدارِ، لأصنع لك مظلة تحميك من أي أمطار ليست أمطاري، لأغرق البحر في كلمات الحب التي تجري بها أنهاري، يا من تجعل من نور الشمس بحضرتها شمعة عنترية تصارع البقاء وسط عاصفة من الأزهارِ ، أحبيني وأشعلي في حبك نيران نيراني وأحيطي أسواري .

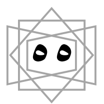
حكاية أنتِ حبيبتي تحمل بين سطورها ألف حكاية وحكاية، حكاية تخبرنا عن أنوثة انقرضت لولا وجودك في الرواية، وحكاية تخبرنا عن نبيذ معتق يسيل من بين شفاهٍ لن تكون إلا شفاهك الساقية، وأخرى تقول لي وحدي أنك الظالمة العادلة المثيرة الثائرة السارقة المانحة القاسية الناعمة تقول لي أنك : الحكاية ، وأنك ذلك العنوان بين السطور .



عنوان بين السطور



الفهرس




عنوان بين السطور